# اللسانيات والنقد الأدبي

## " لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب لـ"محمد خطابي".

عبد الرحمن التمارة

**1-الأهداف والرؤية المنهجية:**

لن يجد متأمل كتاب (لسانيات النص) عناء كبيرا في الوقوف على الأهداف المراد تحقيقها من هذه الدراسة النقدية فضلا عن الوقوف على المنطلقات المنهجية الكفيلة بتحقيق هذه الغاية . هكذا يعلن العنوان الفرعي للكتاب :(مدخل إلى انسجام الخطاب ) منذ البداية عن اهتمام "د.محمد خطابي" بأحد العوالم النصية المضمرة، ويتعلق الأمر بالانسجام (Cohérence). ومنه فالهدف موجه نحو البحث في الآليات الخفية التي تجعل النص /الخطاب منسجما. هذه الغاية يعلن عنها الباحث بوضوح في شكل سؤال مركزي، حيث يقول :(السؤال الذي يروم البحث الإجابة عنه إجابة نسبية ليس إلا : كيف ينسجم الخطاب الشعري ؟ هل تكفي الأدوات والمفاهيم المقترحة من قبل الغربيين لدراسة – وصفانسجام الخطاب الشعري ؟ )(ص 6). ويعد هذا السؤال هو البؤرة التي يمحور حولها "محمد خطابي" الدراسة والتحليل.

يتضح أن هدف الناقد المعلن ينبني على مستويين : الأول تؤطره رؤية نقدية نظرية، تتوخى البحث في الإجراءات و (الطرق التي تكون بها مكونات العالم النصي (هيئة المفاهيم والعلاقات التي تحت سطح النص ) مبنية بعضها على بعض ومترابطة)(3). مما يجعله هدفا منفتحا على وصف الآليات النصية المساهمة في تشكيل النص/الخطاب ضمن نسق منسجم.

والثاني تتحدد مهمته في تشغيل الآليات والمفاهيم التي استثمرها التراث العربي النقدي والبلاغي والتفسيري، والتي تداولها النقد واللسانيات الغربية في مجال "لسانيات النص"، لأجل مقاربة وصف مظاهر الانسجام في النص / الخطاب الشعري العربي المعاصر، ممثلا في قصيدة "فارس الكلمات الغريبة" لأدونيس ؛ أي الانتقال من الإطار النظري إلى الاشتغال النصي.

بحكم هذا التوجه، يلاحظ أن الباحث "محمد خطابي" يركز في رؤيته المنهجية على تحديد مظاهر انسجام النص / الخطاب نظريا وتطبيقيا، لذلك سلك مسارا منهجيا منتظما في ثلاثة

أبواب كبرى، حيث حدد محاور بحثه الكبرى بقوله : (الباب الأول خصصناه لعرض مجمل المقترحات الغربية، وقد قسمناه إلى أربعة فصول طرقنا في الأول منظور اللسانيات الوصفية التي تتبع اتساق النص... الفصل الثاني سميناه منظور لسانيات الخطاب [اقتراحات فان ديك Van Dijk]... أما الفصل الثالث فقد عرضنا فيه منظور تحليل الخطاب، والفصل الرابع خصصناه للذكاء الاصطناعي.

الباب الثاني : كان محاولة – مساهمة في الإجابة عن سؤال مشروع : ألا يمكن أن نجد في التراث العربي المرتبط أساسا بالممارسة النصية مساهمات قابلة لأن تدرج في لسانيات الخطاب بصفة عامة، وفي انسجام الخطاب بصفة خاصة ؟ وهكذا حصرنا اهتمامنا في البلاغة والنقد الأدبي والتفسير...وبناء عليه انقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول...

الباب الثالث والأخير من هذا البحث تحليل لنص شعري حديث ("فارس الكلمات الغريبة" للشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس)). وقد كان هدفنا المركزي من هذا الباب هو اختبار المفاهيم التي اقترحها الغربيون لوصف انسجام النص/ الخطاب)(ص 6-7).

يبدو جليا أن الباحث يحدد بدقة مجال اشتغاله، ويعتمد بناء منهجيا يجمع بين النظري والتطبيقي، كي يحقق غايته و رهانه المعرفي العام : كشف مظاهر انسجام الخطاب الشعري. بيد أن متتبع الدراسة والتحليل يجد الإعلان عن بعض الأهداف الفرعية، التي تصب في تحقيق الهدف المركزي. هكذا نجد أن اهتمام الباحث "محمد خطابي" بالبلاغة العربية كان محكوما بهدف دقيق يتمثل في استخلاص وصف البلاغيين للطرق التي يسلكها الخطاب اتساقا وانسجاما ) (ص 97).

أما دراسته للمستوى النحوي المعجمي لقصيدة "فارس الكلمات الغريبة" فيقول عنه: (إن هدفنا من هذه المقاربة هو الكشف عن مدى فعالية الاتساق وكذا إبراز حدوده، مجتهدين في اقتراح بعض التعديلات التي تفرضها طبيعة النص الشعري موضوع التحليل .)(ص 213). ويتضح أنه هدف مؤطر بثلاثة أوضاع معرفية : وضعية الاختبار (الكشف)، ووضعية النمذجة والتعريف (إبراز حدوده)، ثم وضعية الإنتاج بعد التقويم (اقتراح تعديلات).

إن المتأمل في أهداف الدراسة، بإمكانه تحديد الرؤية المنهجية المتحكمة في الباحث "محمد خطابي" ؛ حيث يتضح أنها رؤية تبئر الاهتمام على وصف مظاهر الاتساق والانسجام نظريا وعمليا. هنا، فالباحث يتبنى الجهاز المفاهيمي المتعلق بـ "علم النص" و "علمي البلاغة واللغة"، نظرا لما بينهما من تماثل ساهمت فيه صيرورة دينامية ؛ فكان ذلك منطلقا لأن (تأخذ

علاقة "علم النص" بعلمي "البلاغة واللغة" وضعا خاصا، حيث يتداخل هذان العلمان مع "علم النص" تداخلا يفضي إلى إمكان عد "البلاغة" الصورة الأولى القديمة لـ"علم النص"، وعد "علم اللغة" في حال اتساعه الصورة الحديثة المعادلة أو المطابقة لـ "علم النص")(4). بسبب هذا التداخل النوعي بين علمين تفصلهما مسافة زمنية ومفاهيمية مختلفة في خطاباتها وأهدافها، أمكن القول إن الباحث "محمد خطابي"تبنى دراسته على المسار المنهجي والجهاز المفاهيمي لـ "علم النص" ؛ لأنه مع هذا العلم ظهر الاهتمام أكثر بالاتساق والانسجام، مادام (علم النص (Textologie) هو الدراسة العلمية للنص الأدبي، من زاوية تنظيمه ومحدداته السوسيوثقافية، والنفسية، والتداولية.)(5).

وقد جاءت الدراسة التطبيقية مبنية أو لا على رؤية نقدية تنظر إلى النص الشعري باعتباره بنية لغوية –فنية. وثانيا على رؤية منهجية ذات طابع تركيبي، حيث مزج الباحث بين مفاهيم تنتمي إلى "علم النص" و"علمي البلاغة واللغة "داخل مستويات التحليل والمناقشة . بيد أنه توقف عند الزوايا التنظيمية –بلغة ج.ديبوا- الظاهرة والمضمرة . وهذا الاختيار المنهجي ينم عن وعي نقدي يتمثل في إمكانية استفادة الدرس النقدي من "علم النص"، عبر البحث في "النص الأدبي- الشعري" لأجل الكشف عن عناصر إنتاجه الشكلية (الاتساق) والمضمونية (الانسجام). وهذا يؤكد أن المنهج النصي في مجال الدراسات الأدبية، يرجع الفضل في تبلوره إلى التطورات المنهجية التي تحققت في مجال اللسانيات. فما هي مميزات المتن المعتمد لتشغيل هذه المنطلقات المنهجية ؟

## 2- المتن المدروس: النوعية والخصوصية.

إن الخطوات المنهجية التي اقترحها الباحث "محمد خطابي" لدراسة انسجام النص الشعري لا تترك مجالا للتأويل أو الالتباس الذي قد يفصح عنه العنوان الأساسي أو الفرعي . فالمتن المقصود محدد بدقة في الباب الثالث من الدراسة، ويتعلق الأمر بقصيدة شعرية معاصرة ذات خصائص بنائية وفنية ومعنوية خاصة(6) ؛ إنها قصيدة "فارس الكلمات الغريبة"(7).

قد يبدو ه ذا المتن- النص المعتمد صغيرا أو قليل الفائدة، خاصة إذا جاءت دراسته في سياق رسالة جامعية . لكن فائدته تكمن في إمكانية قابليته تطويع المفاهيم المرتبطة بالاتساق والانسجام، فضلا عن اختبار قوتها الإجرائية في وصف هذا النص الشعري المتميز بخصوصياته الأجناسية الخاصة من حيث الأدوات والمحمولات. لهذا فقَصْرُ المتن على قصيدة شعرية واحدة مكن الباحث من ضبط وتعميق مستويات الممارسة النقدية، لأنه كما يقول د .حميد لحمداني-

(كلما تشعبث النصوص المدروسة، وتعددت، كلما ضعفت قدرة الناقد على التركيز وابتعد عمله عن تحقيق الانسجام الضروري)(8). غير أن متتبع مسار التحليل في كتاب (اللسانيات النصية) يجد متنا ثانويا معتمدا في سياق تحليل -دراسة المتن المحوري . لكن لماذا هذا المتن ثانويا ؟. لأن الباحث اتخذه أداة لتدعيم تحليل المتن المركزي المعتمد. ويمكن التمييز في المتن الثانوي بين عدة نماذج اختلف سياقها النقدي، كما يلي :

نصوص شعرية عربية قديمة ممثلة في مقطعين من قصيدتين : الأولى في "المدح"، والثانية في "الاعتذار" (ص298). وقد جاء هذا المتن في إطار الحديث عن الارتباط الوثيق للنص الشعري العربي القديم بسياقه (حتى أن النصوص تبدو أحداثا تؤرخ لأحداث) (ص 298).

نصوص شعرية عربية حديثة ممثلة في مقطعين شعريين لـ "أدونيس"، كالمقطع المقتطف من ديوانه "مفرد بصيغة الجمع " (ص 232)، الذي جاء في إطار الاستدلال على تدمير بعض النصوص الشعرية المعاصرة للأعراف والتقاليد التي تحكم إنتاج النص )(ص231). أو المقطع المقتطف من ديوانه "شهوة تتقدم في خرائط المادة " (ص310-311)، الذي جاء في سياق الاستدلال على إمكانية امتداد سياقات النصوص بعضها في بعض (التناص بتعبير آخر).

ناهيك عن مقطعين شعريين لـ "محمود درويش"، أحدهما من ديوان "هي أغنية هي أغنية" (ص304) يعكس مظاهر الصعوبة التي تواجه أحيانا قارئ الشعر المعاصر في تحديد السياق. والآخر من ديوان "ورد أقل" (ص299)، يؤكد أن غياب مقدمات سياقية تساعد على الفهم والتأويل (يفتح الطريق شاسعا أمام المتلقي للافتراض والاختبار والتخمين)(ص289).

-نصوص شعرية غربية حديثة (ص233) ممثلة في مقطع من قصيدة للشاعر الأمريكي المشهور "إدوارد إستلين كاميز" (Edward Estlin Cummings) (1894-1963)، ومقطع من قصيدة فرنسية. وقد جاء المقطعان في سياق التأكيد على أن التشتت المظهري للنص لا يلغي انسجامه، حيث هذا تعبيرا عن عدم الاستسلام أمام النص مهما كانت درجة تعقيده، ومهما ضرب بالاتساق عرض الحائط )(234) ؛ لأن العلاقات الداخلية تكفل انسجام النص الأدبي، ومنه (فإن كل نص منسجم مهما تراءت فوضويته وعبثيته وعدم التحام أجزائه)(9).

-آيات قرآنية كريمة، وقد فرضها العالم الدلالي الذي تراكمه التعابير الاستعارية في القصيدة، فكان انفتاحها على "عالم ديني" يتطلب الاسترشاد ببعض الآيات القرآنية، لإبراز دلالات "الخلق" و"العذاب" (ص320-321) و "البعث" (ص362).

إن هذا المتن الهامشي دعم دراسة المتن المركزي، بيد أن تحليله فتح مسارب هامشية تؤدي للاستطراد. وفي هذا السياق نتساءل :ما هي مستويات الممارسة النقدية وأنواعها المتبعة في تحليل المتن – النص الشعري المعتمد في الدراسة ؟

## 3-الممارسة النقدية : مستوياتها وعملياتها.

إذا كان وصف انسجام النص الشعري يقتضي تشغيل مفاهيم مناسبة، فإن التحديد الأولي لهذه المفاهيم يعد ضروريا هكذا جاء البحث جامعا بين النظري والتطبيقي، حيث خصص الشق الأول للحديث عن المفاهيم الأساسية المحققة لانسجام النص ؛ سواء في المرجعية الغربية بمنظوراتها المختلفة، أو في المرجعية العربية التراثية بمباحثها المتنوعة (بلاغة، نقد أدبي، تفسير). الشق الثاني فخصص لدراسة قصيدة شعرية معاصرة لـ "أدونيس". وبحكم ازدواجية الخطاب النقدي، اختلفت الممارسة النقدية، وتنوعت معاييرها . بيد أنها بقيت تدور في فلك وصف مظاهر انسجام النص /الخطاب، الشيء الذي يجعلنا نقارب مستويات الممارسة النقدية ضمن كتاب (لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب) وفق ما يلي :

### 3-1-انسجام الخطاب/النص ومستوى الوصف التصنيفي:

ما دام القسم النظري من الدراسة منصبا على وصف الآليات والمفاهيم المساهمة في انسجام الخطاب/النص، فإن الباحث "محمد خطابي" مال بداية إلى تصنيف هذه الآليات والمفاهيم بناء على معيار تراتبي هكذا بدأ في رصد مظاهر انسجام النص /الخطاب كما تداولها الباحثون الرواد المنشغلون بلسانيات النص في الغرب : "م. أي. هاليداي ورقية حسن" (M.A.K. Halliday - R.Hassan)، "فان ديك"، "براون ويول" (G.Brown - G.Yule)، و "روجي شانك و ج.سميت" (J.Samet - R.Shank). ويلاحظ أن هذا المستوى النقدي تتقاطع فيه إواليات الفهم والشرح والترتيب. فضلا عن كونه مستوى محكوما ببعض المبادئ الدقيقة، منها :

-مبدأ التدرج : ونقصد به تدرج الباحث "محمد خطابي" في تحديد الخطوط الكبرى لانسجام النص وفق نظام تسلسلي تصاعدي . هكذا انطلق من وصف أصغر وحدة للانسجام، ممثلة في وسائل الاتساق التي تضمن الترابط النسقي بين المكونات اللغوية للنص . وبعده تحدث عن دلالة النص، وكيفية بنائها (البنية الكلية). ثم عرض المبادئ والعمليات المعتمدة من طرف القارئ لتأويل النص، كخطوة تعكس انسجامه ؛ لأن (المتلقي هو الذي يحكم على نص ما بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم )(ص51). ليخلص في النهاية إلى رصد الكيفية التي ينشئ بها

القارئ تصوره للنص (كفاية التصور)، تبعا لما يطرحه "الذكاء الاصطناعي" من إمكانيات تسمح بـــ(النفاذ إلى العمليات الذهنية التي يوظفها الإنسان في معالجة اللغة فهما وتأويلا)(ص77).

-مبدأ التأريخ :ويتجلى في تركيز الباحث على المفاهيم المؤسسة لانسجام الخطاب بناء على أهميتها في السيرورة الزمنية، مما يجعلها مفاهيم خاضعة للتطور والتعديل . ويبدو ذلك واضحا في حديث الباحث مثلا عن كتاب "فان ديك" المكرس لدراسة مظاهر انسجام الخطاب، (يطور فان ديك في المؤلف المذكور آراءه وطروحاته التي سبقت صياغتها في مؤلف سابق.)(ص27).

-مبدأ التعريف:تتجلى استراتيجية هذا المبدأ في تشييد معرفة دقيقة ببعض المفاهيم المؤسسة للانسجام.هكذا تنطوي الممارسة النقدية على تعريفات متعلقة بـــ "الحذف"، "البنية الكلية"، "الأطر"، "الخطاطات"...وغيرها من المفاهيم التي (يجمعها هاجس مشترك، وهو قَصْدُ البرهنة على انسجام النص)(10).

وفي مستوى ثان، وجه الباحث "محمد خطابي" العناية للمنجز النقدي واللغوي التراثي، لأجل استخلاص العناصر المحددة لاتساق النص /الخطاب وانسجامه، كما وصفها البلاغيون والنقاد والمفسرون. ونظرا لاتساع المتن البلاغي واللغوي والنقدي والتفسيري، فإن الباحث ارتكز على مبادئ خاصة في هذا المستوى النقدي الوصفي، منها :

-مبدأ الانتقاء : بغض النظر عن الخلفيات المتحكمة في الاختيار، فإن هذا المبدأ يستجيب لشروط العمق النظري والتقاطع المعرفي مع موضوع الدراسة . يقول مثلا عن البلاغة (ننبه بدءا إلى أن تعاملنا مع هذا المبحث سيكون انتقائيا، أي أن اهتمامنا سينصب على ما هو وارد وشديد الارتباط بموضوعنا : انسجام الخطاب)(ص79). وفي نفس السياق يقول عن النقد الأدبي (سنركز اهتمامنا على معطيات نراها شديدة الاهتمام بموضوع بحثنا )(ص141)، لذلك اقتصر حديثه على نقاد محددين (الجاحظ، ابن طباطبا، الحاتمي، القرطاجني أما الحديث عن بعض متون التفسير، فكان منصبا على المتون المرتبطة بتفسير سورة "البقرة" فقط.

-مبدأ التعريف : وتكمن أهميته في هذا السياق، في كونه مبدأ يقدم معرفة مغايرة للمعرفة المرتبطة ببعض مفاهيم لسانيات النص الغربية لكنها متجانسة معها . هكذا انصب اهتمام الباحث على تعريف وتوضيح ما تعلق بـــ"الفصل"، "الوصل"، "المطابقة"،رد الصدر على العجز "، "الاقتضاء"، "العطف السببي"، "التناسب"، "المناسبة"... إلخ.

### 3-2- انسجام الخطاب/النص ومستوى الوصف التحليلي:

إنه مستوى معرفي ومنهجي عميق ودقيق، تحددت غايته في فحص و (اختبار مجموعة من المفاهيم سواء منها المقترحة من قبل الغربيين أم المستخلصة من الممارسات النصية التحليلية في مباحث البلاغة والتفسير والنقد الأدبي .) (ص209). وذلك عبر إعادة تركيب هذه المفاهيم في إطار هيكلي توفيقي يدمج بين الاقتراحين الغربي والعربي، كي يكون التحليل ديناميكيا وعميقا.

إن هذا الوصف التحليلي ينتظم في مستويات منهجية محددة تفرضها طبيعة النص الشعري، يحصرها الباحث "محمد خطابي" في المستويات الخمسة التالية : المستوى النحوي، المستوى المعجمي، المستوى الدلالي، المستوى التداولي، و المستوى البلاغي (التعالق الاستعاري). وهذا يدفعنا للتساؤل، كيف يظهر كل مستوى أثناء التحليل ؟ أي ما هي العمليات النقدية المتحكمة في دراسة قصيدة "فارس الكلمات الغريبة" انطلاقا من كل مستوى ؟

يمكن القول مسبقا إنها عمليات محكومة بمبدأ التعالق والتداخل، لأن (التماسك اللازم للنص ذو طبيعة دلالية ... وهذا التماسك يتميز بخاصية "خطية"، أي أنه يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية )(11). من هنا تبقى المستويات المقترحة مؤطرة بدينامية متبادلة، رغم الفصل الإجرائي بينها (12). وهي مستويات تتولد عنها عمليات نقدية متنوعة يمكن التمييز فيها بين ما يلي :

أ –عملية الوصف الإحصائي: يعمد الباحث "محمد خطابي"،من خلال هذه العملية، إلى استثمار شبكات مخصصة –محددة الخانات ومنتظمة العناصر - لوصف (الوسائل التي اعتمدها نص "فارس الكلمات الغريبة " في اتساقه)(ص225)، وذلك من الناحيتين النحوية (من ص214 إلى ص224) والمعجمية (من ص239 إلى ص248) ؛ بحكم التقارب النوعي في النص الأدبي بين التركيب والمعجم. ورغم بعض عيوب هذه العملية النقدية ونزوعها الصارم نحو علمنة الممارسة النقدية الأدبية، إلا أنها تمتلك قوتها المنهجية في المقاربة والتحليل ؛ حيث (إن الطريقة الإحصائية تضع يدنا على بعض الترددات ال تي هي ذات مغزى، فلا أحد ينكر دورها في رصد المحاور التي يدور عليها الديوان أو القصيدة، ولا أحد يجادل في أن تلك الترددات تضمن انسجام النص مع نفسه، ومع النصوص الأخرى التي ينتمي إلي جنسها.)(13).

**ب** – عملية الوصف التفسيري: تأتي هذه العملية –منهجيا-بعد العملية ا لإحصائية حينا، أو منفصلة عنها أحيانا أخرى . ونعني بذلك لجوء الباحث "محمد خطابي" إلى "مناقشة"

وتفسير ما تتضمنه الشبكات الإحصائية من معلومات، مما يعني أنه ينتقل من المستوي الشكلي للممارسة النقدية إلى عمقها الدلالي ؛ حيث يجب عن السؤال يفرض نفسه بعد كل عملية وصفية إحصائية هي الفائدة المرجوة من هذا العمل الشكلي ؟ )(ص225). ويلاحظ أن التفسير،في هذه الحالة، يأخذ بعين الاعتبار النتائج المترتبة عن العملية الإحصائية، كما يحاول تطعيمها بعناصر لا تعكسها هذه العملية بشكل مباشر .وهكذا ينبني التفسير -التحليل على رصد العلاقات وبناء الدلالة.

لكن هذه العملية لا تقترن دائما بالعملية الإحصائية، لأن التفسير –التحليل والمناقشة- في المستوى الدلالي يتخذ طريقة خاصة، يمكن أن ننعتها بطريقة "العرض والتفكيك". وهذه الطريقة هيمن استثمارها في المستوى الدلالي، حيث يعرض الباحث الشواهد النصية المناسبة لمظهر من مظاهر الانسجام ؛ كما تعكسها علاقات تركيبة جزئية أو دلالية كلية، ثم يقوم بتحليلها وتفسير مظاهر انسجامها. فعلى سبيل المثال، حينما أراد أن يفسر مظاهر الارتباط بين عنصرين متعاطفين بناء على "مبدأ الإشراك"فإنه عمد إلى عرض الأمثلة النصية المناسبة، ثم قام بتفكيكها وتفسير دلالتها، وخرج باستنتاج مفاده (أن الخطاب الشعري في هذا المستوى الدلالي خطاب منسجم، لكن الانسجام الدلالي ذاته لا يسد ثغرة التفاعل بين النص والقارئ، أي الفهم والتأويل.)(ص268). إن هذا الأخير –التأويل- يعد من العمليات الهامة التي اعتمدها الباحث "محمد خطابي" في ممارسته النقدية. فما هي المرجعيات التي يعمدها منطلقا للتأويل ؟

ج – عملية الوصف التأويلي : إن التأويل في -هذا السياق- يجعل النص الشعري المعاصر متضمنا لعدة معان، ومنفتحا على مرجعيات مختلفة ومتنوعة، خاصة وأن (التأويل لا يبحث عن إجابات حازمة جازمة..[و] تأويل القصيدة يجب أن ينفتح على مساءلتها واستثارتها وبخاصة في عصر يهيم بفردية النص وافتراض علوه المثالي على الأزمات )(14). من هنا (فحقيقة التأويل هي ربط المتحقق بكل الإحالات الممكنة . وفي هذه الحالة، فإن ما يمثل أمامنا باعتباره نسخة محققة لا يشكل سوى ذريعة الهدف منها إطلاق العنان لدلالة منفلتة من عقالها قد لا تتوقف عند حد بعينه )(15). ولهذا وظف الباحث "محمد خطابي" التأويل كآلية منهجية مناسبة للمنهج النصي. فاستثمر،في جزء من المستوى الدلالي، آلية التأويل لدراسة "موضوع الخطاب"، وتوصل إلى اقتراح أربعة مواضيع (ص281) يفرضها السياق النصي ؛ حيث يقول (كل هذه الموضوعات مقبولة لأن بينها جامعا مشتركا هو دوران النص حولها )(ص281). أما حديثه عن

"البنية الكلية للقصيدة فقاده لاكتشاف تمحورها حول أربع ذوات :الساحر، الشاعر،الرسول،الفارس؛ وقد قام الباحث بتأويلها ا ليجد أن القصيدة (تنفتح على ثلاثة حقول "عوالم" كبرى، حقل أسطوري، وحقل ديني (بينهما حقل صوفي ) وحقل لغوي. ومنها يستمد النص كينونته..) (ص291). وتعد هذه الحقول الثلاثة مرجعات يؤول في ضوئها الباحث المستويين التداولي والبلاغي للقصيدة .هكذا، أثناء حديثه عن الس ياق العام لقصيدة "فارس الكلمات الغريبة"، حشد بعض العناصر الخارجية عن القصيدة للتأويل، لكنه يقول (كل عناصر السياق متوفرة لدينا، ولكن هل تساعدنا على تأويل النص ؟ )(ص306). مما يعني أن التأويل عملية يتحكم فيها السياق و "المعرفة الخلفية"، هذه الأخيرة جعلت التأويل مرتبطا بالمرجع الأسطوري، الديني، واللغوي.

-التأويل الأسطوري: انطلقا من مؤشرات نصية دالة، فتح الناقد "محمد خطابي" –عبر التأويل- القصيدة على المرجعية الأسطورية، ممثلة في أسطورة (أريان) ؛ وثم ذلك انطلاقا من زاوية المفارقة وليس المطابقة، لأن (الذي غيبته الأسطورة هو ما ألح عليه النص)(ص319). أما أسطورة (سيزيف) فتجد تجليها البارز –حسب الناقد- في (ميل النص إلى بناء عالم آخر عن طريق تغيير مواقع الأشياء والتحكم فيها )(ص319). في حين أسطورة (أركوس) تستعير منها القصيدة "القوة القاهرة" و"القدرة على الرؤية".

-التأويل الديني : إنها عملية جعلت الناقد يفتح القصيدة على "عالم ديني" مزدوج الدلالة الأولى متعلقة بالخلق والثانية مرتبطة بالعذاب . فضلا عن كونه تأويلا جعل الناقد يجد علاقة من( الحوار بين النص الشعري وبين حياة الرسل )(ص322)، كما تؤشر على ذلك بعض المقاطع والأسطر الشعرية.

-التأويل اللغوي : إنه تأويل فرضته طبيعة المستوى النصي المراد تحليله، والمتمثل في "التعالق الاستعاري". والواقع أن معظم التأويلات المرتبطة بهذا المستوى، تنطلق من مساءلة المكونات اللغوية للتراكيب الاستعارية ؛ حيث يرصد الناقد الدلالة المعجمية للمفردات المشكلة للتعبير الاستعاري، ثم يتم بناء الدلالة العامة لهذا التركيب . ويبدو أن الباحث "محمد خطابي " يصرح،أحيانا، بشكل واضح أنه يسلك هذا التأويل، يقول مثلا في تحليل المركب الاستعاري التالي "في لهفة التائهين " : (سننطلق في تحليل هذه الاستعارة أيضا من المعنى المعجمي للهفة...)(ص370).

وعموما، فالتأويل كان أساسيا في تحليل المستوى الاستعاري، حيث انفتح علـــى دلالات متنوعة كلها تعكس انسجام النص . لأن الناقد بعدما حلل استعارات : الغابة، العزلـــة، الـــريح، الماء، النهار، الليل، الحجر، الظل، القمر، الكهف، الأرض، التريف، اللهفة، ... إلخ، توصـــل إلى أنها استعارات تدعم (المنطق العام الذي يحكم النص وهو التضاد بين حالتين أو بين منـــاخين في النص)(ص384). فكان،بذلك، التأويل من الآليات التي كشفت انبناء النص على بنيـــة ضـــدية تحكمت في التعابير الاستعارية، وهذا –حسب اعتقاد الباحث "محمد خطابي"- يـــبرز (أن بنـــاء النص على هذا النحو أكسبه دينامية فعالة تؤسس انسجامه وتعالقه المتين )(ص364)، مما يعني (أن التماسك النصي ليس مجرد خاصية تحريدية للأقوال، ينبغي أن نعالجها في علم الدلالة أو في نظرية الخطاب أو في نحو النص، ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنـــواع عديدة من المعارف الذاتية)(16).

**-الهوامـــش:**

1- محمد خطابي، لسانيات النص:مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991. وأرقام الصفحات التي لا تحيل على الهامش هي أرقام صفحات الكتاب.

3-د.حميد لحمداني، سحر الموضوع، منشورات دراسات سال، 1990، ص : 7.

4-د.جميل عبد المجيد حسين، علم النص: أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، ع2، المجلد32، 2003، ص : 148.

5- د.جميل عبد المجيد حسين، علم النص: أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، مذكور، ص : 142.

-Jean Dubois et autres , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage , Larousse ,Paris, 6 1994,p:482.

8- قصيدة طويلة تتكون من ثلاثة وعشرين مقطعا متفاوتة الكم، وكل مقطع يحمل عنوانا خاصا به.

9- د.حميد لحمداني، سحر الموضوع، مذكور، ص : 15.

10-د.محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990، ص : 44.

11- د.محمد مفتاح، دينامية النص، مذكور، ص : 29.

12-د.صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر-مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص : 329.

13-لا يمكن أن نلصق بهذا الفصل الإجرائي سمة "انفصالية"، لأن الأمر يتعلق بتدرج منهجي لا يقيم حواجز بين هذه المستويات من جهة، ولأنها مستويات يفرضها النص الشعري نفسه من جهة ثانية.

14-د.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري المركز الثقافي العربي، بيروت – البيضاء، ط3، 1992، ص : 60.

15-د.مصطفى ناصف، نظرية التأويل، منشورات النادي الثقافي الأدبي جدة، ع111، ط1، مارس 2000، ص : 11.

16-سعيد بنكراد، السميائيات:مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات سلسلة الزمن شرفات، ع11، 2003، ص : 173.